03/03/2026

خطاب متروبوليت خلقيدونية في احد الارثوذكسية



خطاب صاحب السيادة متروبوليت خلقيدونية المطران عمانوئيل في أحد الأرثوذكسية (في كاتدرائية القديس جاورجيوس البطريركية)

قداسة البطريرك، أصحاب السيادة، أصحاب السعادة، الأخوة الأحباء في المسيح،

الساده الموقرون،

أيها الشعب المبارك للرب،

اليوم، تلبس الكنيسة العظيمة للمسيح، الأم والراعية جنس الأرثوذكس، لباس الفرح والنور، محتفلة بحدث له أهمية تاريخية وكنسية قصوى. إن إعادة تكريس الأيقونات المقدسة، التي ختمت نصر الحقيقة وأكدت الإيمان بحقيقة تجسد الكلمة الأزلية لله، تثبت القول الإلهي: «وتعرفون الحق، والحق يحرركم» (يوحنا 8:32)، وهي سبب فرحنا المشترك اليوم.

هذا الاحتفال يشكل ندا ًمستمرا ً للحياة وصوتا ً قويا ً يدعو إلى اليقظة والمسار النشط نحو المستقبل، لأن الأرثوذكسية هي كيان حي، نابض ومتطور باستمرار داخل التاريخ، مع نظرها الموجه دوما ً نحو الغايات الأبدية، نحو الممكلة القادمة للآب والابن والروح القدس.

إن النظر إلى الكنيسة كما لو كانت متحفا ً تحفظ فيه أفكار الماضي، محمية من فساد الزمن ولكن أيضا ً من نسيم الحياة، هو خداع شديد.

الأرثوذكسية تمثل عيد الخمسين المستمر، الشباب الأبدي للروح القدس، الذي

يجدد الشعوب ويحوّل الحاضر، مانحاً إياه آفاق الخلود. ونحن، المؤمنون المعاصرون، مدعوون لنعيش إيماننا كـ شجرة متقدة ال تُحرق، عايشين اللحظة الحاضرة وبانئين للغد، عالمين أن المسيح هو الذي كان والذي هو والذي سيأتي، رب التاريخ والحاضر والمستقبل.

غالباً ما تميل الطبيعة البشرية إلى تقديس الماضي بشكل مثالي، مخلقة أيقونات زمنية لم تكن بريئة كما يصورها خيالنا. نتذكر عصوراً نعتبرها "ذهبية"، ناسين الواقع القاسي الذي عاشه أسلافنا، لأن الحقيقة التاريخية، مكشوفة عن التجميل الرومانسي، تكشف أن تلك العصور كانت مليئة بالامتحانات القاسية وأحياناً اللاإنسانية. فقد واجه الناس مجاعة وأوبئة قاتلة وحروب مدمرة وسط حالة مستمرة من عدم اليقين للبقاء على قيد الحياة، متحملين أعباء الانقسامات والصعوبات المتنوعة التي كانت تمزق النسيج الاجتماعي، مع غياب معظم المعرفة والاكتشافات العلمية التي تسهّل حياتنا اليوم.

الماضي، بكل صعوباته، يظل معلماً محترماً، لكنه يتوقف عن كونه سجّاناً. نحن، الراغبون في تكريم الآباء، مُلزمون بالتقدم إلى ما وراءهم، مرافقين العالم من منظار المستقبل والأمل، مكرمين ذكراهم من خلال التقدم وبناء هياكل وطرق جديدة للعيش المشترك، متجنبين التقليد الجاف لأشكال النماذج الماضية. وبحسب توجيه رسول الأمم، يجب علينا «أن ننسى ما وراءنا، وأن نتقدم نحو ما أمامنا، ساعين نحو الجائزة» (فيلبي 3:13-14).

رسالة أحد اليوم هي رسالة مضيئة وتعليمية بشكل بارز، خالية من كآبة المحافظة، لأن عصور الرفض والحروب العقيمة والعزلات والصراعات المتبادلة قد ولّت إلى الأبد.

ومن الحقائق المماثلة أن اسم المسيح استُخدم أحياناً لتبرير الظلم والتمييز، وهي أحداث نرفضها اليوم بقلب منكسرٍ ولكن مع جرأة وشجاعة، ونختار طريق المحبة الحقيقية والمصالحة. نحن نعترف بأخطاء الأمس لكي نؤسس حقائق الغد.

المسيح، الذي تعلنه الأرثوذكسية اليوم، يهدّم الجدران ويبني الجسور. مخلّص العالم، الصورة الحقيقية لله غير المرئي، هو الذي اقترب من العشار الخاطئ، ودار حواراً لاهوتياً مع السامرية، ومدّ يده إلى المهمشين والمنسيين في المجتمع.

هذا هو المسيح في الأرثوذكسية: الله الباحث عن الضال، الله الرحمة والمغفرة. الإيمان الأرثوذكسي يتطابق مع حضن مفتوح شامل للجميع، دون شروط أو قيود، لأن أي تفسير يقيد المحبة الإلهية الرحيمة ضمن مجموعات مغلقة من "النقيين" وهو تحريف للإنجيل وإنكار للتجسد الكوني للخلاص.

إذا اعتقد البعض أن الأرثوذكسية تكمن في البهاء الخارجي، والثياب الفاخرة، والعظمة الدنيوية، فهم مخطئون. هذا التصور، الذي ربما خدم مخططات سياسية لإمبراطوريات وسلطات سابقة، قد انهار تحت ثقل الحقيقة نفسها، لأن جوهر الإيمان يكمن في التواضع، والخدمة، والتضحية.

قد تتغير الأشكال الخارجية، لكن الحقيقة تبقى ثابتة وتسطع من خلال بساطتها، كما أشرقت مهد بيت لحم. وهنا، الجيل الجديد قد أزال الأساطير عن هذه الرموز، باحثاً عن الجوهر وراء المظاهر، والمضمون وراء الشكل.

ومن هذا المنطلق، قال الرب: «الأكبر بينكم يكون خادمكم» (متى 23:11).
نوجه نظرنا بكل أمل ومحبة نحو الشباب، هؤلاء البراعم من الكنيسة، الذين ليسوا مجرد "مستقبل الكنيسة"، بل هم التعبير الفعّال للحياة المحبة لله وللناس في الحاضر، وفقاً لـ الرسالة العامة للقدّيس الكبرى للأرثوذكسية، بمناسبة مرور عقد من الزمن على انعقاده الذي نحتفل به هذا العام.
لسوء الحظ، تُسمع أصوات الشكوى من بعض المتواكلين، الذين يتهمون الشباب بعدم احترام التقاليد وأ بالابتعاد عن الإيمان، لكن الواقع مختلف تماماً ومطمئن جداً. فكما تنبأ الكتاب: «ويَتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرون شبابكم رؤى» (يوئيل 3:1؛ انظر أيضاً أعمال 2:17).
إن الشباب اليوم يمتلكون حدة فكرية وذكاءً عالياً، يفوق في كثير من الأحيان الأجيال السابقة، ويعيشون في عالم مفتوح حيث تنتشر المعلومات بسرعة. لديهم قدرة نقدية، وهي هدية إلهية ثمينة تتيح لهم التمييز والمقارنة والبحث عن الأصالة، ورفض الحلول المزيفة والمساومات الزائفة. الجيل الجديد يرفض فرض الأفكار بالقوة أو بالسلطة، مطالباً بالحجج والحوار، وبخاصة بتوافق الأقوال مع الأفعال.
وهذه الحقيقة تمثل نعمة عظيمة للكنيسة، لأنها تدفعنا لنكون أكثر كفاءة وصدقاً وعمقاً، وتحثنا على تنقية خطابنا من الغموض والخطابات الجافة، لنخاطب قلب الإنسان مباشرة.
لكي تثبت الأرثوذكسية مكانتها في العالم المعاصر، يجب أن يكون كلامها نقياً، صافٍ كالكريستال، كما خرج من فم المخلّص. عندما نتحدث بصدق، بدون أغراض خفية أو إخفاء للحقائق، عندها فقط نستطيع جذب قلوب الناس الذين يتوقون إلى الحقيقة ويبحثون عن كنيسة تقدم نفسها ليس لنفسها، بل للإنسانية جمعاء، لرفع وتجديد العالم (وفقاً للرسالة العامة للقدّيس الكبرى للأرثوذكسية في كريت).
لغة الحقيقة والأصالة تؤثر ليس فقط على المؤمنين، بل على أولئك الذين يتحفظون أو يشككون في الكنيسة أو المسيح. ففي أعماق كل إنسان توجد العطش للمطلق، للعطاء، وللمحبة. وبما أن الله محبة، عندما ننقل هذه المحبة بالأفعال، بالتضحية، والخدمة الصامتة، يصبح رسالتنا مقنعة ومقبولة.
العقلاء والشباب المتعلمون يعترفون بالأصالة ويقتربون من ينبوع المياه الحية، ويجدون في الكنيسة أباً وأماً، بدلاً من قاضٍ صارم.
في عيد أحد الأرثوذكسية اليوم، نحن مدعوون إلى عداة إحياء ليس فقط الصور على الجدران، بل صورة الله في الإنسان. كل إنسان، مهما كانت عرقه أو لونه أو وضعه الاجتماعي، يحمل ختم الخالق بداخله. وهذا ما يُعلّمنا الصفحة الأولى للكتاب المقدس: «على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم» (تكوين 1:27).
الأرثوذكسية تكرم الإنسان كصورة حية لله. هذا هو الكلام المعاصر، الحي، والملائم للكنيسة: خطاب يحتضن العالم، يحترم الاختلاف، يتحاور مع العلم، وينضل من أجل البيئة، ويكافح من أجل العدالة. مستقبل الأرثوذكسية مشرق طالما نجرؤ على النظر إلى الأمام بشجاعة وثقة في عناية الله.
تتألق الكنيسة عندما تفتح أبوابها، تتحاور، وتستجيب لأسئلة العصر

المسيحية، مقدمة حول الحياة الحقيقية والحرية بدلاً من تقاليد الماضي الجامدة.
يزداد المؤمنون عندما يصبح الرعاة خداماً للفرح ورفقاء في الألم، بعيداً عن إدارة الخوف والذنب، لأن الأرثوذكسية اليوم مدعوة لتكون الصوت النبوي الذي يعلن قداسة الشخص، حماية الخليقة، ووحدة الجنس البشري: «تترقب الخليقة بفارغ الصبر كشف أبناء الله» (رومية 8:19)، وتصبح الخميرة التي تخمر كل دقيق العالم بنعمة القيامة.
سيادة البطريرك الأب والراعي،
أنتم، بصفتكم قادة سفينة الكنيسة الروحية، تقدمون في كل حين مثالاً حياً للأرثوذكسية النابضة والقوية. ونحن، بفضل الله، نعيش الآن السنة الخامسة والثلاثين لهذه البطريركية الجميلة والمملوءة بالروح الإلهية، ثلاثاً وثلاثين عاماً من الرعاية والخدمة الرسولية والأيكومينية، تاركين أثراً لا يُمحى في تاريخ الأرثوذكسية.
من خلال مبادراتكم الرائدة، وتوجهكم الأيكومينى، وحبكم الأبوي للشباب، واهتمامكم بالقضايا المعاصرة مثل الأزمة المناخية وسعي الشعوب نحو المصالحة، تُظهرون عملياً أن عرش القسطنطينية يعمل كمعمل للأمل وكمرقب للمستقبل.
تحت قيادتكم المباركة، نسير بشجاعة، عالمين أن الأرثوذكسية هي جواب الله على أزمات العالم، جواب مليء بالحياة والنور والحرية.
أتمنى أن يُنير نور الأرثوذكسية، نور القيامة والحياة، عقولنا جميعاً، وبشكل خاص عقول الجيل الجديد، حتى يستمر هذا الجيل في البحث عن المسيح وعيش العلاقة معه كطريق الحق والحياة الوحيدة.
الأرثوذكسية هي شباب العالم، وإلى هذا الشباب ننظر ونعطي ثقتنا واستثماراتنا.
فليكن ذلك.

[البطريركية المسكونية باللغة العربية]